مجلة الدراسات التاريخية

مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707

موسى لقبال ومحمّد بن عميرة وجهودهما في إبراز دور القبيلة في قيام الدول بالمغرب الاسلامي (2-4 هـ /8-10م)

Moussa Lakbal and Mohammed Ben Amira and their Efforts to Highlight the Role of the Tribe in the Establishment of States in the Islamic Maghreb (02 – 04 H / 08 – 10 AD)

ط.د محمد تمير [1]،

[1] جامعة غرداية (الجزائر)إيميل: temmir.mohammed@univ-ghardaia.dz

مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة غرداية (الجزائر)

د. عبدالجليل ملاخ[2]

جامعة غرداية (الجزائر)، إيميل: mellahk.abdeldjalil@univ-ghardaia.dz

تاريخ الارسال: 2024/02/29 تاريخ القبول: 2024/11/13 تاريخ النشر: 2024/12/29

Abstract:

The attention of Algerian researchers and scholars has been attracted by the topics pertaining to the tribe and the role thereof in the Maghreb in various time periods, we find the study conducted by Dr. Moussa Lakbal (may Allah have mercy on him) on the role of the tribe of KUTAMAS and its role in the establishment of the Fatimid State, as the most important of these academic research studies that dealt with the role of the tribe in full details, through which he got his PhD Degree in Egypt; in addition to the study conducted by Dr. Mohamed Ben Amira pertaining to the role of ZANATA in the doctrinal movement in the Islamic Maghreb. Furthermore, the researchers

have been keenly interested with the roles of the other tribes of the Maghreb in terms of economic, political and social fields. On the other hand, and for enrichment purpose of this issue together with exploring some aspects thereof, we dared to prepare this research paper so as to trace the most important roles the tribe in the Islamic Maghreb, along with the extent of its contribution to the establishment of independent States, particularly in the middle Maghreb, and to bring to light the reasons contributing to make the Maghreb as the land for the establishment of these States.

Keywords: Tribe; Independent States; Kharijites; Moussa Lakbal; Mohamed Ben Amira.

المؤلف المرسل: محمد تمير
temmir.mohammed@univ-ghardaia.dz

الملخص:

استرعت المواضيع المتعلقة بالقبيلة ودورها في بلاد المغرب اهتمام الباحثين والدّارسين الجزائريين في مختلف الحقب الزمنية، ولعل أهم هذه الدّراسات البحثية الأكاديمية التي تطرقت لدور القبيلة بإسهاب نجد منها دراسة الدكتور "موسى لقبال" (رحمة الله عليه) عن دور قبيلة كتامة ودورها في قيام الدولة الفاطمية، والتي نال بها درجة الدكتوراه في مصر، ودراسة الدكتور "محمّد بن عميرة" عن دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، كما كانت أدوار باقي قبائل بلاد المغرب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا محل اهتمام الباحثين. ولإثراء الموضوع وتقصي بعض جوانبه، جاءت هذه الورقة البحثية لنتتبع فيها أهم الأدوار

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

التي كانت للقبيلة ببلاد المغرب الإسلامي، ومدى مساهمتها في قيام الدول المستقلة خاصة بالمغرب الأوسط، ومعرفة أيضا الأسباب التي جعلت المغرب أرضا لقيام هذه الدول.

الكلمات الدالة: القبيلة، الدول المستقلة، الخوارج، موسى لقبال، محمّد بن عميرة.

1.مقدمة:

ساهمت الأوضاع السياسية التي عرفها المغرب الإسلامي مطلع القرن الثاني للهجرة في نشوب التمرد والعصيان اللذان أدّيا إلى قيام ثورات السكان على بعض عمال ولاة بني أمية، وما تكاد ثورة تنطفئ حتى تقوم أخرى إلى أن زال ملك خلافة بني أمية في المشرق، ولم يختلف الوضع في عهد بني العباس بل أصبح المغرب أرضا خصبة، تُنبت الزرع لمن يبذر، وتبنت فكر الخوارج ومذاهبهم التي كان أنصارها يبيّنون للناس بأنهم أكثر تمسكا بالدّين من غيرهم، وأنّ الأمر بين المسلمين على مبدأ الشورى، فتحمس أهلها إليه كثيرا، كما توافد إلى جانب أصحاب المذاهب والعقائد الخارجية دعاة الشيعة الباطنية للمغرب الإسلامي قصد بذر أفكارهم وسط القبائل المستهدفة مسبقا وانتظار موسم الحصاد وإعلان دويلاتهم، فظهرت مع القرن الثاني الهجري الدويلات المستقلة والتي اختلف مذاهبها العقدية والفقهية وانفصلت عن مركز الخلافة بالمشرق، وما كان لهذه المذاهب والفرق لتأسس دولها لولا التفاف القبائل المحلية حولها والتمكين لها، فكانت وقودها وحطبها في إشعال الثورات ومن ثمّ إقامة الدولة.

فكيف استطاع دعاة المذاهب الخارجية والشيعية من إقامة دول لهم ببلاد المغرب الإسلامي؟ وكيف صمد بعضها في وجه الخلافة العباسية السنيّة القائمة.

فصَّلت كثير من الدّراسات الجامعية في إبراز دور القبائل البربرية في قيام الدول المستقلة ببلاد المغرب، والتي توزعت بين جذمي البربر البُتر والبَرانس، ومن اشهرها قبيلتي زناتة وكتامة اللتان كان لهما دور هام في قيام دول المغرب الأوسط، وقد اهتم بدراسة أدوار هاتين القبيلتين قامتان من قامات قسم التاريخ بجامعة الجزائر وكان لهما السبق في البحث القَبلي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، فالأول شيخ مؤرخي التاريخ الوسيط الدكتور الفقيه "موسى لقبال" رحمة الله عليه، الذي بحث دور قبيلة كتامة في قيام الدولة الفاطمية العبيدية، والثاني تلميذه الدكتور "محمّد بن عميرة" الذي بحث في دور قبيلة زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، واعتنت هاتان الدّراستان ببحث أدوار القبائل البربرية في قيام الدول المستقلة ببلاد المغرب ومن خلالهما نستشف الكثير من الأدوار التي مكنت من تأسيس دول الخوارج والشيعة ببلاد المغرب، ونستخلص منهما الأسباب التي جعلت من بلاد المغرب منذ العصور القديمة منطقة نزاع وصراع القوى الخارجية مع القبائل المغربية من جهة ومن جهة أخرى ميدانا للتنافس بين البربر أنفسهم (البتر والبرانس) على سياسة الولاء للسطلة الحاكمة في العصر الوسيط، ومما سبق نثير التساؤلات التالية: ماهي الأسباب التي جعلت المغرب الإسلامي يعرف استقرار المذاهب غير السنية به لتشكل كيانات سياسة مستقلة عن الخلافة الإسلامية بالمشرق؟ ولِمَ لَمْ تكن هذه الدّول تحت رئاسة محلية غالبا؟ أهو بحث عن السلطة الشرعية الدينية في الوفود المشرقية؟ هل قعدت دراسات الدكتور موسى لقبال والدكتور محمد بن عميرة لدراسات مماثلة تهم بأدوار القبيلة ببلاد المغرب في شتى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية التجارية والمذهبية؟ ولتفسير ذلك لابد من معرفة دور القبائل في قيام الدولة المستقلة ببلاد المغرب الإسلامي.

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

2.التعريف بالباحثين:

1.2-ترجمة للدكتور موسى لقبال:

هو موسى بن علاوة بن لخضر لقبال ولد عام 1934م ببريكة القريبة من حاضرة طبنة التاريخية[1] نشأ في وسط أسرة فقيرة، دخل الكتّاب لحفظ القرآن الكريم، وبمسقط رأسه زاول تعليمه الابتدائي، ثم انتقل إلى مشونش للتعلم بمدارس جمعية العلماء وعلى يد شيخه "عيسى يحياوي "[2] وبعد أن أتم حفظ كتاب الله، انتقل إلى الزاوية الرحمانية بطولقة (بسكرة) لتعلم علوم اللغة والعلوم الشرعية على يد الشيخ "محمد الدراجي "[3]، وفي زاوية بلحملاوي بتلاغمة واصل مسيرته في طلب العلم وتحصيل علم النحو والفقه على يد الشيخ "علي الأشل"، ثم انتقل سنة 1951 إلى مدينة نفطة بالجريد التونسي ليكمل دراسته بزاوية ابن عزوز البرجي على يد شيوخها الأجلاء ليزيد من تمكنه في العلوم الشرعية واللغوية، ثم توجه بعدها إلى توزر حيث أنه دخل حلقات جامع الفركوس ونال به شهادة الأهلية بامتياز سنة 1953-1954[4] لينتقل إلى تونس العاصمة ويواصل نهل العلم من جامعها المعمور الزيتونة وينال منه شهادة التحصيل سنة 1957، وينال معها جائزة الرئيس بورقيبة، و زادته هذه الإجازات والجوائز رغبة في طلب العلم، فشد الرحال باتجاه مصر قاصدا جامعتها ومعاهدها أين انتسب وسجل بكلية الآداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة، والتي نال بها شهادة الليسانس سنة1961 [5] وعمل في ميدان التربية والتعليم بعد استرجاع الجزائر سيادتها بين سنتي (1962و1966)[6] بثانوية عمارة رشيد ببن عكنون (العاصمة)، وبعد تحصّله على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ عُين بجامعة قسنطينة، ثم تحصل بعد ذلك على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة عين الشمس بمصر سنة

1968، ثم شهادة دكتوراه دولة في نفس التخصص ومن الجامعة نفسها سنة 1972 بعد مناقشته أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11 م)"[7] إذ تعد ذروة أعمال الدكتور وأهمها لقيمتها العلمية والنصوص التي أفردها فيها، فهي من الدّراسات والأبحاث التي يفتخر بها الجزائريون في مجال الدّراسات التاريخية عامة، والتاريخ الإسلامي على وجه الخصوص لأهمية الموضوع الذي طرقته، وللإشادة والسمعة التي تركتها في وسط الباحثين، منهم ثناء الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور رائد التاريخ الوسيط بمصر في تقريضه للكتاب بعد طبعه.

2-2 ترجمة للدكتور محمد بن عميرة:

ولد الدكتور محمد بن عميرة في 22 جوان 1943بجيجل، انتقلت عائلته إلى الجزائر العاصمة حيث نشأ وترعرع بحي القصبة العتيق وبه تلقى تعليمه الابتدائي، في المدارس الكولونيالية الفرنسية، وتعلم العربية في مدارس جمعية العلماء المسلمين، وبعد الاستقلال نجح في السنة التحضيرية بكلية الآداب سنة1966[8]، حيث انتسب إلى قسم التاريخ وتحصل على شهادة الليسانس في التاريخ سنة 1971، اشتغل أستاذا بالتعليم الثانوي بين سنتي 1969 و1978 إلى غاية حصوله على دكتوراه درجة ثالثة سنة1978 في التاريخ الوسيط بمناقشته لرسالته الموسومة بـ: "دور زناتة في تاريخ الحركة المذهبية"، تحت إشراف الأستاذ الدكتور موسى لقبال [9]، وانتسب بعدها إلى أساتذة معهد التاريخ بجامعة الجزائر إلى غاية تقاعده سنة 2016، وخلال هذه الفترة ناقش أطروحة دكتوراه دولة سنة 2004 تحت إشراف الدكتور موسى لقبال، بعنوان: "الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين". ساهم الدكتور بن عميرة في عدد من رسائل الماجستير و الدكتوراه مشرفا ومناقشا بجامعة الجزائر وغيرها من جامعات الوطن، له مقالات ودراسات عديدة خاصة في تاريخ الحركة المذهبية والفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فهو يعد رائد في هذا

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

المجال إذ له تصانيف متنوعة ومقالات عديدة نذكر منها: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي باكورة أعماله ودراساته، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى الأتراك العثمانيين. وهو عمل مشترك مع زوجه الدكتورة لطيفة بشاري بن عميرة، وكتاب قيم في منهجية البحث التاريخي، وهو عصارة مسيرته العلمية المنهجية في قسم التاريخ، ومن المقالات نذكر منها: موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الثاني، 1986[10]، ومنهج كتابة المؤرخين لتاريخ الفتح الإسلامي، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الخامس، 1988[11] ، كما له مشاركات في ملتقيات وطنية ودولية. وقد تولى الدكتور بن عميرة مهام إدارة معهد التاريخ بجامعة الجزائر ما بين سنتي 1991و1996، ومدير لمعهد الآثار 1994إلى 1996، وعضوا في اللجنة العلمية لقسم التاريخ (أكثر من مرة) وعضو في هيئة تحرير مجلة الدراسات التاريخية.

3 - البنية الاجتماعية لبلاد المغرب

لا يختلف النسيج الاجتماعي لبلاد المغرب عن مثيله في شبه الجزيرة العربية، فالقبيلة هي النواة **الأساسية** –الرئيسة – لتكوين المجتمع، حيث يتشكل هذا النسيج الاجتماعي من فرعيين أساسيين هما البربر البتر، والبربر البرانس، وقد دارت بينهم منافسة وعصبية قبلية مثل العصبية اليمنية والقيسية في شبه جزيرة العرب، حيث يرى الدكتور موسى لقبال - رحمه الله – أنّ العرب المسلمين ظهروا بتقسيم اجتماعي فريد لسكان بلاد المغرب لم يكن معروفا فيما قبلهم، وذلك

بتقسيم السكان إلى مجموعتين كبيرتين (مجموعة البرانس –حلف البرانس- ومجموعة البتر –حلف البتر -) [12] وقد ذكر أن هذا التقسيم حير العلماء والنسابة في أصله، فكل مجموعة تعيش وفق نمط حياة معين. فالبتر يعيشون وفق أساليب البداوة (المجتمع البدوي) التنقل وانتجاع الماء والكلأ، وسكنى الخيام، وامتلاك الماشية، والميل لقطع السابلة والإغارة على مراكز الاستقرار والعمران ومن ثم الأفول إلى الصحراء والإضمار بها، والابتعاد عن مراكز السلطة السياسية إلى قمم الجبال والتلال و الهضاب فهم بذلك يتجنبون المواجهة المباشرة مع أهل الحضر وكل قوة عسكرية متمركزة في المنطقة، وعلى عكس قبائل البتر نجد قبائل البرانس أهل حضر واستقرار معظمهم يستوطن القرى الساحلية أو التلية، ينتشرون في السهول لممارسة الزراعة ويحترفون سائر المهن، والزراعية كانت مصدر الثراء[13] للمنطقة وتمكن أهلها من هذا النشاط باحتكاكهم بالشعوب الوافدة وساعدهم وأكسبهم ذلك ممارسة النشاط التجاري والصناعي، فهم بذلك قريبون من مراكز السلطة السياسية في المنطقة، فهم يتأثرون بكل ما يطرأ عليها من تغيرات وهجرات ثقافات والحروب .

ومن خلال ذلك يتبين لنا أنّ سمة البداوة غالبة على بعض بطون البتر كزناتة، والاستقرار بالنسبة لفروع البرانس من صنهاجة وكتامة هي السمة الغالبة عليهم، والحياة لا تختلف بين جذمي البربر فهم جميعا عرفوا شظف العيش وقسوة الطبيعة ومجابهة العناصر الدخيلة عن بيئتهم ومجالهم الجغرافي، وبقيت تلك هي الخاصية العامة لسكان بلاد المغرب منذ سقوط ممالكم المحلية قبيل الوجود الروماني، ولم يستطيعوا تكوين حلف سياسي يجمع قبائل البربر في حلف قوي يصد جميع الحملات الأجنبية عن المنطقة، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت بلاد المغرب لا تعرف وحدة قبلية كالتي شهدتها من قبل تدخل العنصر الأجنبي وتنافس القبائل فيما بينها على الولاء لهذه القوى، أو تقف في وجهها والإغارة عليها، وقد عرف البتر بهذه الخاصية كونهم قوم تنقل وترحال يصعب

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

مطاردتهم والقضاء عليهم فأراضيهم واسعة لا يحدهم مجال، هذه الشراسة رفضت كل أجنبي عن المنطقة ولو كان يقترب في تكوين النسيج الاجتماعي من المجتمع البربري وهذا من الأسباب التي عرقلت حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

4 – دور قبيلة زناتة في قيام الدولتين المدرارية (140-296هـ/757-909م) والرستمية (160-296هـ / 777-909م):

كان لقبيلة زناتة البترية يدا في قيام دول الخوارج وظهورها ببلاد المغرب، وذلك لنشاطها ودعمها للحركات الخارجية منذ ظهور الاضطرابات السياسية التي ظهرت ببلاد المغرب عقب مقتل عامل الخليفة هشام بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم 102هـ [14]، فكان سبيلهم فكر الخوارج الذي وجدوا فيه ملاذهم، وتجلت فيه أهدافهم وأطماعهم والمبادئ التي تجعلهم وتمكنهم من التمرد والخروج على النظام القائم دون تكفير أو تضليل، وكانوا يهرعون للاستجابة لدعوة الخوارج الذين يكافحون ضد الحكم القائم أكثر مما كانوا يكافحون إلى إنشاء نظام جديد بمعنى الكلمة[15]، وما تمرد وثورة ميسرة المدغري (المطغري) ومساندة الخوارج الصفرية إلا دليل على ذلك .

4-1- زناتة والحركة الصفرية المدرارية:

استمرت ثورة ميسرة ثمّ خالد بن حميد الزناتي ضد جند الخلافة بعد مقتل عامل الوالي على طنجة عبد الله المرادي، حتى قامت دولة بين مدرار بسجلماسة، وهنا يذكر الدكتور محمد بن عميرة أن جل القبائل التي شاركت في هذه الثورة من نشوبها إلى قيام دولة بني مدرار أنهم زناتيون، وكان لهم الدور الأكبر في قيام ثورات الخوارج الصفرية منذ بدايتها أيام خالد بن حميد الزناتي وميسرة المطغري(المدغري) الذي تمت مبايعته بعد تخلف ميسرة وتراجعه في معركته مع

عامل الخليفة خالد بن حبيب الفهري، ومن بعده أبا قرة من بني يفرن، وهذا يرشدنا إلى أن الزناتيين كانوا هم الأكثر، وأن القبائل الأخرى دونهم قلة، وعصبيتها لا حدث مع زناتة، إذا كيف نفسر تفرق القبائل حول ميسرة؟ ولم تحميه عصبية قبيلته مطغرة من القتل، وهذا يفسر بأن زناتة هم سواد الثورة ووقودها.

ثم انتشرت الثورة في كل ربوع بلاد المغرب، فعند وصول حنضلة بن صفوان للقيروان، وجدها مهددة بالسقوط في يد الصفرية الذين كانوا تحت قيادة عكاشة الفزاري وعبد الواحد الهواري اللذين اتفقا على مهاجمة القيروان من كل جهة، ودارت ببلاد المغرب الأوسط معارك كثيرة كانت سجالا بين جند الخلافة و أصحاب عكاشة وعبد الواحد انتهت بمقتلهما سنة 125هـ/742-743م[16]، ويذكر الدكتور بن عميرة بأن زناتة كان لها دور كبير إلى جانب هوارة فقد حاربت في صفوف عكاشة وعبد الواحد الهواري الذي يذكر المالكي أنه من زناتة، ويرجع الفضل في دحر الصفرية عن القيروان وبقاء المذهب السني بها في انتصار حنظلة على عكاشة وعبد الواحد في معركتي القرن والأصنام، إلا أن النحلة الصفرية لم يقض عليها فقد استمرت اضطراباتها دون أن تكون لها نتيجة على الرغم من قرب زوال ملك بني أمية في المشرق[17]، وبزوال ملك بني أمية زال ملك العصبية العربية معهم (اليمنية والقيسية)؛ تأسست الإمارة الفهرية بالقيروان على يد عبدالرحمان الفهري(126هـ/744م) الذي استغل ضعف الخلافة والخوارج في آن واحد، وقد عرفت القيروان في عهده اضطرابات كثيرة، تم له القضاء عليها ، هذه الانتصارات جعلته يغتر بنفسه ويخلع يد الطاعة من الخليفة، مما دفع بأخويه ومن والهما من أهل القيروان من العرب وغيرهم بقتله، فكثر القتل في أسرة حبيب الفهري، وبعد مقتل عبد الرحمان على يد إلياس بن حبيب و عبدالوارث إثر انحرافه عن طاعة أبي جفر[18]، مما أدى إلى إشعال نار الفتنة بين حبيب بن عبد الرحمن و عمه عمران بن حبيب ومن معهما من جهة

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

وبين إلياس وأخيه عبد الوارث ومن تبعهما من جهة أخرى[19]، ويذكر الدكتور بن عميرة بأن الأحداث تطورت بعد مقتل حبيب لعمه إلياس ولجوء عمه عبد الوارث إلى قبيلة ورفجومة[20] حيث أجاره زعيمها عاصم بن جميل حتى تمكنت قبيلة ورفجومة النفزاوية البترية من السيطرة على القيروان لمدة أربع سنوات[21]، بعد استيلاء قبيلة ورفجومة على القيروان انتشرت الفوضى وعدم الاستقرار في إفريقية، وساد الظلم بين عرب القيروان وكثر فيهم القتل على يد الورفجوميين الذين غلبت عليهم حياة البداوة وأصبحت تصرفاتهم لا تطاق في القيروان فهي تغيض الصاحب قبل العدو إلى درجة أنهم ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع[22].

2-4- زناتة وحركة الإباضية:

قبل قيام الدولة الإباضية بالمغرب الإسلامي، انتشرت الدعوة الإباضية في هوارة وزناتة ونفوسة بإقليم طرابلس وأول من ترأسها في ذلك الوقت عبد الله بن مسعود التجيبي[23] الذي قتله إلياس بن حبيب عامل أخيه عبد الرحمان بن حبيب في تلك الناحية سنة 126هـ /744م، وقد غضب الإباضيون لمقتل رئيسهم غضبا شديدا ودخلت المنطقة في فوضى وصراع مع عمال الولاة والخلافة، وكثر القتل وتفرق أمر الإباضية وطغت عليهم حادثة مقتل الحارث وعبد الجبار في ظروف غامضة[24] وذهبت ريحهم، حتى عاد وفد حملة العلم الخمسة[25] من المشرق، وحسب ما ذكرته المصادر الإباضية فقد عمل هؤلاء على توحيد إخوانهم من الإباضية، ورجعت رئاستهم إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، إذ يذكر الدكتور بن عميرة نقلا عن المصادر أنه اشترط عليهم نسيان مسألة الحارث وعبد الجبار في معسكره، وأظهر براعة في السياسة الكبرى وقيادة الجيوش فكان الأولى بالإمامة، حتى تمكن من الاستيلاء على طرابلس بعد ما رسم مع

أصحابه خطة للاستيلاء عليها، وأخذو ينادون فيها لا حكم إلا لله، لا طاعة إلا طاعة أبي الخطاب [26]، ثم خرج إلى القيروان لِمَا وصله من أخبار عن تصرفات قبيلة ورفجومة على رأس الإباضية من هوارة وزناتة وفي طريقه حاصر قابس واستولى عليها تم زحف إلى القيروان، وهنا تذكر المصادر الكثير من الأخبار والأحداث لا يتسع المجال لذكرها منها قصة عاصم السدراتي (القثاء)الذي ذكرت بعض المصادر أنه قتل مسموما بعد اشتهائه للقثاء الذي وضع به السم، وغيرها من الأحداث، ولقد تمكن أبو الخطاب من جر جيش القيروان خارجها دون التفكير كثيرا في حصارها وربما كان لقلة المؤونة والغذاء(عام قحط) سببا في تفكير المعافري هذا ، وهو ما وقع حيث وضع كمينا لجيش القيروان بواد وراء فحص رقادة [27] وانتهت المعركة بهزيمة جيش القيروان وتشتته وتمكن أبو الخطاب ومن معه من إباضية هوارة وزناتة وغيره بدخول القيروان في صفر141هـ/يوليو 758م واستخلف عليها القاضي عبدالرحمان بن رستم، ثم عاد إلى طرابلس لحفظ الأمن وصد الهجومات العباسية وقد سير إليه الخليفة العباسي محمد بن الأشعث وأمره أن يتجه بالجيش بنفسه إلى أن قصد طرابلس حيث تدور رحى الحرب بينه وبين أبي الخطاب، وهنالك استغل ابن الأشعث الظروف واستعمل حنكته العسكرية وما وصل اليه من أخبار جيش الإباضية فتحين الفرص وأوهمهم بالقفول والرجوع إلى المشرق فتفرق جيش الإباضية من حول أبي الخطاب، الذي تذكر المصادر بأنه لا يمتلك بيتا للمال فالجند كانوا يكسبون من عمل أيديهم، خاصة وأنهم لا يغنموا من عدوهم إلا السلاح والخيل[28] ، ومما زاد الأمر سوءا نشوب نزاع بين هوارة وزناتة اللتين هما النواة الأساسية لجيش الإباضية، واتهمت زناتة ميله لهوارة حيث فارقه جماعة كبيرة من زناتة، فاستغل ابن الأشعث الأوضاع من خلال عيونه والأخبار التي تصله من تشتت وتفرق جيش أبي الخطاب من حوله، وراح يطوي الأرض طيا ويسبق الريح حتى وجده أبو الخطاب عنده على مشارف طرابلس، وفي أحوازها دار القتال بينهما قبل وصول مدد الإباضية ودارت

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

معركة تاورغة التي انتهت بهزيمة جيش الإباضية وقتل أبو الخطاب سنة 144هـ/761م وتفرق الإباضية وخرج ابن رستم من القيروان وعادت لمركز الخلافة وهدأت الأوضاع واستقرت حتى سنة154هـ على عهد حركة أبي حاتم ومن اجتمع معه من قبائل البربر.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن زناتة كان لها دور فارق في ثورات الخوارج وتمكينها في بلاد المغرب، فكانت ترجح كفة حليفها، وقد حقق الإباضية انتصارات كثيرة بوجود هذه القبيلة معهم وبمجرد خروجهم أو ميلهم إلى الكفة تدور الدائرة عليهم، ولعل سكوت المصادر الإباضية عن دور زناتة في الأحداث الأخيرة بسبب موقفها السلبي الذي لعبته.

خرج عبد الرحمان بن رستم من القيروان التي استخلفه عليها أبو الخطاب للنجدة يوم تاورغة، وما إن وصل قابس حتى بلغته أنباء الهزيمة، فانفض من حوله الجند ومن كان معه من الإباضية، فرجع إلى القيروان فوجدها ثائرة على عامله، فحمل أهله وماله وجماعة من أعوانه واتجه إلى إباضيي المغرب الأوسط ونزل عند قبيلة لماية لقديم عهد وحلف بينه وبينهم وللأخوة المذهبية 144هـ/761م ويعتبر هذا الفرار نقطة تحول في تاريخ المغرب، وبداية تأسيس سلطة مستقلة عن الخلافة الإسلامية، وطول عمر للدولة الرستمية التي كاد يقضى عليها في مهدها لولا نجاح ابن رستم في تهيئة بيئة آمنة لها في المغرب الأوسط، وهناك اجتمع أتباع المذهب الإباضي و بايعوا عبدالرحمان بن رستم بالإمامة، لعدم اتفاقهم على رئيس منهم ولكونه لا عصبية قبلية له تحميه وتنصره ولعلمه ولتجربته في الحكم على القيروان أيام أبي الخطاب، وهو آخر حملة العلم، ورأس المذهب الإباضي بالمغرب، ولقد ذكرت المصادر أنه بويع بالإمارة أول مرة

سنة144ه وتلتها المبايعة بالإمامة سنة 160ه/ 777م[29]، ومعناهما واحد هو رئاسة الجماعة دينيا ودنيويا، وبالمغرب الأوسط ظهرت حنكة وسياسة عبدالرحمان بن رستم في إدارة شؤون الدولة ومنها عمل الإباضيون على اختطاط مدينة تكون عاصمة لدولتهم واتفقوا على أن تكون تاهرت لأنّها بعيدة عن القيروان ويفصل بينهما إقليم الزاب وجبال الأوراس، وليست بقعة ساحلية فتكون عرضة لضربات الأسطول البيزنطي، كما أنّها منطقة خصبة ذات مناخ ملائم يتوسط موقعها التل والصحراء، فهي تتربع على طريق القوافل التجارية بين الشرق والمغرب الأقصى والأندلس وتجارة الصحراء. والعامل المهم أنها في قلب منطقة تسكنها قبائل زناتية إباضية متعددة[30] .

ساهمت القبيلة (زناتة) في تأسيس الدولة الرستمية المستقلة ببلاد المغرب الأوسط تحت سلطة العصبية المذهبية (الإباضية)، فقد كان لزناتة وهوارة اليد في نشوب ثورات البربر وكانوا سوادها ووقودها، وكان التنافس بين بطون زناتة كبير لقيادة ورفع راية الدولة المنشودة لديهم، وهو ما يفسر أن البربر لم يتمكنوا من تحقيق وحدة تمكنهم من تأسيس دولة بربرية، ولا توجد لهم أية محاولة قبل اعتناقهم المذهب الخارجي لتأسيسها، وقد كان اختيارهم لعبد الرحمان بن رستم قبل علمِه ودرايته بأمور السياسة والحكم، لأنهم عرفوا بألّا عصبية قبلية له تحميه ببلاد المغرب، وهنا نقف على التنافس بين القبائل البربرية فيما بينها، وعلى مساندة القوة الطارئة في المنطقة، مما ساهم في قيام دول وسقوط أخرى ببلاد المغرب .

5-دور قبيلة كتامة في قيام الدولة الفاطمية العبيدية ببلاد المغرب

5-1 أسباب وعوامل تمكين المذهب الشيعي بين كتامة

قامت الدولة الفاطمية على المذهب الشيعي الإسماعيلي، وهم الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل نصا عليه باتفاق أولاده فيما ذكر صاحب الملل والنحل [31]، وانقسمت هذه الطائفة بدورها إلى قسمين وعرفت

E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بالسبعية والمكتومين أو الباطنية[32]، دخلت هذه الطائفة في التستر خشية القبضة العباسية التي كانت تلاحقهم من مكان لآخر حتى أواخر القرن الثالث الهجري[33]، واشتهر فيهم الدعاة الذين يدعون إلى مذهب الشيعة وأنهم أولى الناس بالخلافة، ومن أشهرهم ابن حوشب الذي توجه إلى اليمن 268هـ/882م من سلَّمية[34] وكانت حينئذ مركزا للدعوة الإسماعلية[35] وحقق نجاحا في نشر المذهب وكسب مؤيدين له، وفرَّق الدعاة في كثير من الأمصار منها مصر والمغرب [36]. وكانت وجهة أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب، فاتصل الداعية أبو عبد الله الشيعي بحجاج قبيلة كتامة، وعرف كيف يتقرب منهم، ورحل معهم باتجاه مصر الذي ادعى أنه قَدم إليها يطلب التعليم، مما جعل الكتاميين يلحون عليه في القدوم معهم إلى بلادهم فهم أحوج إلى التعليم، ومن خلال هذا الإلحاح في الطلب يكون أبو عبد الله الشيعي قد ضمن مسبقا مساندتهم له، وواصل السير معهم حتى وصل بلاد كتامة سنة280هـ/893م، وانتهز الفرصة ليبدأ نشاطه، ويكشف بعض أمره لمن يثق فيهم ويخبرهم أنه صاحب البذر الذي كان الحلواني يُبشّرُ به مستغلا تعلق أهل المغرب الإسلامي عامة بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإقبالهم وحبهم لكل ما يرد من المدينة مقارنة بغيرها، وهذا أيضا سبب انتشار المذهب السني المالكي المدني بينهم، واعتماد قراءة نافع في القرآن، وكان تعلق أهل المغرب بالإمام علي وسيرته ينبع من محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يفرقون بين حبه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام، وما يفسر هذا القول ويدعمه هو التفافهم حول إدريس الأكبر وتمكينه من وضع قاعدة أساس الدولة العلوية في المغرب الإسلامي بين مضارب البتر والبرانس على حد سواء، وأغلب الأسر الكبير في بلاد المغرب تفتخر حتى الآن بنسبها الحسني الشريف .

يذكر لقبال أهمية الأدارسة في التوطين للعلويين بحسن معاشرتهم ومعاملتهم للسكان وعدم حملهم على اعتناق مذهب معين وتعايشهم، مع غيرهم من الخوارج[37]، هذا الذي ساعد العبيديين(الفاطميين) في التمكين لمذهبهم في المغرب الأوسط وفي منطقة كانت منعزلة عن الاضطرابات والثورات التي عرفتها بلاد المغرب بل كانت المنأى والمأوى لكثير من قادة المغرب الأدنى حين يشتد الصراع والخلاف، فقد عرفت المنطقة والقبيلة بالهدوء والمهادنة وميلها للسّلم، ويرجع ذلك لعدة أسباب فصلتها المصادر تفصيلا ونقلتها المراجع بعد فحص وتمحيص وإزالة الخرافة والأسطورة عن الوقائع والأحداث، والأسلوب القصصي وجمع المتفرق من الأحداث، حيث ذكر الدكتور لقبال أن من أهم الأسباب التي جعلت كتامة ينعدم خبرها في بداية حركة الفتح، الطبيعة الجغرافية لمواطن كتامة ذات التضاريس الجبلية الوعرة، وهذه المناطق كانت خارج اهتمام الفاتحين لصعوبة ولوجها واجتيازها[38]، زد على ذلك ندرة المراكز الكبيرة بها والتي تستدعي الفتح عنوة، فكان ميل الكتاميين إلى السلم والمهادنة إلى غاية زمن موسى بن نصير الذي كان في حوزة بعض زعماء ووجوه من كتامة رهائن ليثق من ولائها بيئتها الأصلية ليكمل حركة الفتح، هذه الأحداث تُخرج كتامة من دائرة التحالف ضد المسلمين الذي كانت في أولها بيزنطية برنسية (أوربة) ثمّ بيزنطية بترية (جراوة)، إذ لم تشهد مضارب كتامة أي اضطراب خاصة بعد أن استعمل على القيروان ولاة غايتهم نشر الإسلام، فكانوا خير سند في استكمال حركة الفتح ونشر الإسلام، واستحكم الإسلام في صدورهم ونفوسهم، واكتسبوا الغيرة عليه وعلى مبادئه لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، وما كان فعل أهل المغرب (الحرس) مع الوالي يزيد ابن أبي مسلم[39] سنة 102هـ إلا كراهتهم الابتداع والتشبه بالنصارى، لأن هذا الوالي أراد أن يوشم على أيديهم كلمة حرس ليتميزوا عن غيرهم ولخصوا سبب موقفهم الاحتجاجي بعبارة جامعة هي قولهم (جعلنا بمنزلة النصارى)[40]، والقارئ المفسر للاضطرابات السياسية التي وقعت ببلاد المغرب مع وبعد ثورة مسيرة

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

المدغري (المطغري) يستبعد كتامة ومضاربها من هذه الاضطرابات لميل أهلها للسلم والمهادنة، وكراهتهم الخروج ضد النظام الشرعي وجنوح أهلها إلى الهدوء والاستقرار في إطار التبعية للقيروان مركز الخلافة الإسلامية، ومن المصادر نستقي أن نزاعات الخوارج لم تنل من طبيعة سكان كتامة ولم تنتشر بينهم على عكس بطون البترية (زناتة ومغراوة) وصنهاجة التي انتشرت فيها كالنار في الهشيم، ويذكر الدكتور لقبال بأن النصوص لم تشر إلى ثوار من الكتامين، أو إلى عقوبات نزلت بهم أو بلادهم جراء خروجهم عن الخلافة أو اشتراكهم كجماعة أو قبيلة، أمّا ذكر الأفراد من كتامة كانوا من الخوارج الصفرية أو الإباضية فقد كان من الكتاميين ومن انتحل نحلة الخوارج نذكر منهم: شكر بن صالح الذي كان من رجال الشورى الذين أوكل لهم عبد الرحمان بن رستم مهمة اختيار الإمام بعده[41]، وإن كان ليس بالضرورة أن تكون كتامة ضمن القبائل الخارجية إذا كان بعض أفرادها من الخوارج، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموقف هو: لو كانت كتامة نكارية أو صفرية هل يختار الداعي بلدهم لنشر الدعوة الإسماعلية؟ وبالتالي قد لا ينقادون ولا يقبلون بآرائه عن الإمامة المنحصرة في آل البيت، فقد تشبعوا بالفكر الديمقراطي الإسلامي على مبدأ أمر المسلمين شورى بينهم وليست إمامة محصورة في طائفة من المسلمين دون غيرهم، ويظهر ذلك جليا في حديث حجاجهم مع الداعي الإسماعيلي بمكة، ومن الصعب أن يغيروا مذهبهم لو كانوا فعلا إباضية أو صفرية ويساهموا في تقويض ملك دولة بنيت بعد عناء وتضحيات من أجل قيام أخرى بنفس الأسباب والنتائج، وهو ما تفسره الأحداث التي وقعت فيما بعد بين كتامة والصفرية في سجلماسة والإباضية في تيهرت بعد سقوطهما، ويؤكد العداء

المستحكم بين هؤلاء وأولئك وبدافع الكراهة هاجر الإباضية من تيهرت إلى سدراته وورجلان .

2-5- قبيلة كتامة والتأسيس للدولة العبيدية(الفاطمية):

ويبين الدكتور لقبال أسباب بزوغ قوة كتامة السياسية والمذهبية بعد فترة من عدم الظهور، وجعلها تخرج للمشهد السياسي والمذهبي بالمغرب الأوسط زوال شوكت إقليم الزاب وطبنة بفعل الأخطاء التي ارتكبها أمراء الإمارة الأغلبية، وذلك بسياسة الإفناء لعناصر من سكان منطقة الزاب التي اتبعها الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد فلم يفرق بين الكبير والصغير، بل قتل الكثير سنة 268هـ فكانت هذه الأحداث بداية نهاية الدولة، وفي ذلك يذكر ابن عذاري << كان فتك إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بأهل الزاب فقتلهم وقتل أطفالهم >>[42] لزوال السد المنيع للدولة بالمغرب الأوسط، والخطأ الثاني الذي كان مماثلا للأول وهو الغدر بعنصر قوي يعتبر عصب الدولة، وهم عناصر من خيرة عرب بلزمة [43] فكانت نتيجة هذين الخطأين زوال دولة الأغالبة وذهاب ريحها وضعف عصبتها، وبالتالي التمكين لكيان جديد في المنطقة اتخذ من مضارب كتامة قاعدة لنشر مذهبه، إذ كان اهتمام الائمة العلويين بنشر آداب وفضائل آل البيت بين جمهور المسلمين الذين يستقرون في أقاصي المناطق الإسلامية الشرقية والغربية، والتي مازالت فطرتها تحتفظ بالإسلام وأصوله في صورة غير معقدة، وكانت مضارب البربر وجهة الداعيتين الحلواني و أبو سفيان [44] الإسماعيليين، << اذهبا إلى بلاد المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها وكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها >> [45]، وإن كانت النصوص الشيعية تشير إلى التربة التي هيأها الداعيان الحلواني وأبو سفيان للبذر لا يمكن أن تبقى على حالها لمدة زمنية طويلة فهي قضية نسبية، قد يكون هدفها تقوية عزم الداعي، فهو لم يجد أرضا كما صورتها النصوص الاسماعلية وغيرها، بل واجهته مشاكل كثيرة وأنكر عليه كثير من كتامة فعل التستر وما أسقطه من الدين بفعل أنه ليس من سنة رسول

E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من فعل الصحابة مثل إسقاط صلاة التراويح في رمضان[46]، وقد كان لعامل العصبية الكتامية والبرنسية على حد سواء دور هام في نجاح الدعوة الإسماعلية وقيام الدولة العبيدية (الفاطمية) بالإضافة إلى مميزات شخصية الداعي، حيث تذكر المصادر على اختلافها أنّ أبا عبد الله الشيعي عرف بأسماء عديدة في بلاد المغرب منها الأهوازي نسبة إلى الأهواز وهو لفظ أطلقه عليه أحد شيوخ كتامة من باب التقية، واشتهر خبره بين عامة كتامة بصاحب البغلة الشهباء (البلقاء) وبالمشرقي حتى سمي من مال إلى رأيه متشرقا إلى أن قيل تشرّق أي تشيّع، حتى صار في إفريقية لفظ المشرقي دلالة على التشيع، ويذكر الدكتور لقبال أنه عرف في مصادر الإباضية بلقب الحجاني أو الكجاني والصيغتان معا هما تحريف لكلمة الإيكجاني نسبة إلى قلعة إيكجان مقره ودار هجرته الأولى ببلاد المغرب، وقد وجد الداعي في قبيلة كتامة ما يلبي حاجياته ويقوي طموحه في تجسيد مشروع آل البيت وما يصبوا إليه، خاصة بعدما علم من وفد حجيج كتامة أن لفظ كتامة اسم جامع تنطوي تحته قبائل وبطون وأفخاذ وعشائر كثيرة مضاربها قريبة من بعضها، والعلاقة بينها مثل أية علاقة في أي مجتمع قبلي يسودها الوئام في أوقات كما تعتريها المشاكل والخلافات في أوقات أخرى، وما زاد من حماسته في التوجه نحو بلاد كتامة هي هيبتها ومكانتها بين القبائل، إذ كانت مرهوبة الجانب بين جيرانها لا يفكر أحد في التدخل في شؤونها، لذا لم يتردد في قبول طلب أهل كتامة لمّا عرضوا عليه في مصر أن يواصل السير معهم إلى بلادهم بقولهم "نحن أعرف بحقك "، وواصل السير معهم وهو يحدوه الأمل في مساندتهم له في تحقيق المشروع الكبير الذي به تنقلب أوضاع المنطقة وتتجسد آمال آل البيت، بعد أن أخذ عليهم أن يكتموا سره، وحل بمضارب كتامة

280هـ /893م واختار فج الأخيار الواقع في جبل إيكجان حيث نزل على بني سكتان، وهناك وجد أرضا خصبة لنشاطه السياسي والديني فبدأ يدعوا لآل البيت، وشاع الخبر بين الناس أنه يدعو إلى أمر مكتوم وأن من دخل فيه لم يظهر منه شيئا ولو لأخص الناس به، ويكتفي بعبارة ((أبلغ توقن)) كجواب لمن يسأله عما دخل فيه وما قيل له، غير أن هذا الأسلوب في الدعوة أدى إلى ظهور نوع من المعارضة والتساؤل بقول << لوكان في الأمر خير ما ستر، وما هو إلا خلاف دين الإسلام >>[47] خاصة لما أسقط صلاة التراويح في رمضان كما ذكرنا سابقا، ويذكر الدكتور لقبال إنقسام الكتاميين وانتقل إلى تازورت وبها تحولت حياة الداعي ونشاطه، وصارت دار هجرته على قول المصادر الإسماعلية وأصبحت ضمن قلاع الإسماعلية وحصنها الحصين، وبها قويت عصبة الداعي واشتد ساعده بقبائل عثمان ولهيصة وجميلة وملوزة ومزاتة ثم اتسعت حركة الدّعوة فشملت عجيسة وزواوة اللتين أصبحت مضاربهما موالية ومسرحا للدعاة و المشايخ، وذاع صيت الداعي وحلفائه في الحواضر والبوادي بعد انتصاره على معارضيه وذهاب ريحهم وتشتتهم بين ميلة وإفريقية وأصبحت المنطقة مضارب كتامة خالصة لرجال الدعوة لا ينازعهم فيها عمال المدن الكبرى وأمراء بني الأغلب الذين دخل معهم الداعي الشيعي في صراع بعد القضاء على معارضيه وأخذ يستولي على المدن الأغلبية المدينة بعد الأخرى حتى سقطت في يده رقادة عاصمة الدولة في رجب 296هـ /909م[48] وبمجرد سقوط دولة بني الأغلب في يد أبي عبد الله الشيعي بدأ في توطيد سلطته في البلاد، وتوالت الدول المستقلة ببلاد المغرب تسقط في يده، فبعد دولة بني الأغلب ثم سجلماسة التي تمكن فيها من فك أسر إمامه عبيد الله المهدي، ومن ثم تهرت وانتهاء بفاس في القرن الرابع الهجري، ثم اختطوا مدينة المهدية لتكون عاصمة الدولة ببلاد المغرب، وهنا نقف على الدور الهام الذي كان لكتامة في قيام دولة العبيديين(الفاطميين) ببلاد المغرب والتي ستكون عواقبها وخيمة على القبيلة بالمنطقة خاصة بعد كشف ستر هذه الدعوة للعامة بالمنطقة

E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

حيث ستدخل قبيلة كتامة من جديد في عزلة سياسية قهرية هذا المرة بفعل أنها كانت سببا في قدوم هذا العنصر الدخيل عن المنطقة والذي لا يشبه باقي الدول التي ظهرت ببلاد المغرب خاصة الأدارسة التي يدّعون أنهم يشتركون معهم في النسب. فقامت ضد العبيديين (الفاطميين) ثورات عدة حتى خروجهم من بلاد المغرب، وتغير حلفهم وعصبتهم القبلية من كتامة إلى صنهاجة التي ستكون لها خلافة إدارة بلاد المغرب في أسرة ابن زيري نيابة عن العبيدين، حيث تشهد هذه الأسرة تنافسا بين أفرادها حتى تنتهي باستقلال بلاد المغرب الأوسط عن الزيريين حلفاء العبيديين(الفاطميين) من قبل أبناء عمومتهم، وتأسيس دولة مستقلة سياسيا ومذهبيا عنهم عصبتها صنهاجية في إقليم لا يبعد عن مضارب كتامة كثيرا بل سيتسع إليها وتكون جزءا هاما منه، وهي دولة بني حماد الصنهاجيين الذين كان لهم الفضل في إعادة العامة للمذهب المالكي والتمكين له ببلاد المغرب بالسلطة والسلطان لمّا قطع المعز بن باديس صلته بالعبيديين (الفاطميين) ورفض الدعاء لهم على المنابر يوم الجمعة و أعاده للخلفاء العباسيين.

6.خاتمة

يتضح من خلال هذه الورقة البحثية جهود الأستاذين لقبال وبن عميرة في إبراز دور القبيلة في قيام دول وتقويض أخرى ببلاد المغرب الإسلامي، فالقبيلة كانت في كثير من الأحيان هي العامل الأساسي في قيام الدول فهي عصبتها وعصبيتها وعمادها الذي تتكئ عليه للنهوض بها، ومقارعة نظائرها من الدول الأخرى التي ظهرت ببلاد المغرب، وفي ختام هذا العمل خلصنا لبعض النتائج نذكر منها الآتي:

إن العصبية القبلية أساس قيام الدول بالمغرب الإسلامي عند الأستاذين

فكتامة البرنسية عند لقبال ليست قبيلة فحسب بل هي حلف كبير شمل كتلة زواوة وإن تأييد بعض فرع كتامة للدعوة الإسماعلية لم يكن نابعا من اقتناع وعقيدة بقدر ما ارتبط في جملته بظاهرتي الولاء للحلف والعصبية القبلية الكتامية الخاصة أو البرنسية العامة.

كان دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية مزدوجا سياسيا ومذهبيا وشاملا لبلاد المغرب ومن بعد ذلك لمصر والشام، وكان الفضل للكتاميين في وصول العنصر البربري لسيادة الحكم ببلاد المغرب (صنهاجة ثم تلتها مصمودة)، وعصرهم عصر الوحدة المغربية كذلك.

وعند بن عميرة العصبية القبيلة هي التي مكنت للحركة المذهبية ببلاد المغرب بتأسيس حلف قبلي لأول حركة مذهبية بالمغرب الإسلامي حركة الخوارج (الصفرية والإباضية) التي تتشكل أساسا من جذم البتر (زناتة وهوارة) ولزناتة الجزء الأكبر منها.

كان لزناتة دور في التمكين للمذهب الإباضي ببلاد المغرب عامة وفي المغرب الأوسط خاصة، لكن دورها لم يظهر في تأسيس الدولة الرستمية، كما ظهر في معارضتها للحكم لمّا خالف مبادئ قيام الدولة في عهد الإمام عبد الوهاب ثاني أمراء الدولة.

عارضت قبيلة زناتة الوجود الشيعي الفاطمي طيلة تواجده ببلاد المغرب بل تعداه حتى للزيريين من بعدهم وبهذا يتجدد الصراع بين جذمي البربر (البتر والبرانس) على رئاسة سيادة بلاد المغرب الإسلامي.

وبهذا يتضح أن قبيلة زناتة البترية ساهمت في الحركة المذهبية ببلاد المغرب بالتمكين لفكر الخوارج لا لتأسيس دول بعينها عدا بعض الإمارات في المغرب الأوسط، لكن دورها كان بارزا جليا في المعارضة السياسية لهذه الدول وإن كانت حليفتها إذا خالفت تعاليم الدين الإسلامي ومبادئ تأسيسها.

E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

لايزال البحث عن أدوار القبيلة ببلاد المغرب الإسلامي لم يكشف عن أسرارها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي من خلالها يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية للعناصر المكونة للمجتمع المغاربي الذي ينجذب في كثير من الأحيان إلى بعضه البعض ويشكل وحدة سياسية إذا اشتدت عليه الأوضاع، ويشتد الصراع بين عناصره في أحيان أخرى حتى يصل إلى حد تقويض دُوله، وانهيارها والأمثلة على ذلك كثيرة، تستدعي الوقوف عليها ودراستها دراسة اجتماعية وسياسة معمقة تسمح بمعرفة الواقع الاجتماعي لدول المغرب في ظل المتغيرات السياسية والاقتصادية والتجاذبات العرقية والاجتماعية التي تطغى على الوضع الاجتماعي الحالي في جل دول بلاد المغرب .

7.المصادر والمراجع

1. ابن الاثير: **الكامل في التاريخ**، تح، عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
2. البلاذري: **فتوح البلدان**، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988.
3. ابن خلدون عبدالرحمان ، **العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصر من ذوي السلطان الاكبر**، تح خليل شحادة، دار الفكر، ط1 ، بيروت لبنان،1981
4. الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح. عبدالله العلي الزيدان، وعز الدين عمرو موسى، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت لبنان، 1990.

5. أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: **سير الائمة وأخبارهم**، تح إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر، 1979.
6. الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج 1، تح أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، ط3،بيروت لبنان، 1993.
7. ابن عبد الحكم: **فتوح إفريقية والاندلس**، تح عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1983.
8. ابن عذاري المراكشي: **بيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**، تح ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت لبنان، 1983.
9. القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986.
10. المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم**، تح بشير البكوش، ومراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان،1994.
11. بحاز ابراهيم بن بكير: **الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم**، مؤسسة كتابك، ط2، الجزائر، 2019.
12. جعيل أسامة الطيب: "**الاستاذ الدكتور موسى لقبال وجهوده في تدوين تاريخ المغرب الإسلامي**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 6، العدد 16، ديسمبر 2018،
13. حارش محمد الهادي: **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995.

14. طيفوري قدور والعيفة الحاج: "**التمثلات المنهجية للدّكتور موسى لقبال رحمه الله تعالى في كتابه "المغرب الاسلامي** " مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 23، العدد 1، سنة 2022

15. بن عميرة محمد: **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

16. بن عميرة محمد: **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008

17. محمد بن عميرة: **"مسيرتي في قسم التاريخ منذ بداية تعريبه1967 إلى هذه السنة 2014 "**، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد17، العدد2

18. العقون محمد العربي: **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، دار الهدى، الجزائر، 2008.

19. لقبال موسى: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، .1979

20. لقبال موسى، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2005 .

21. يوسف جودت عبد الكريم، **العلاقات الخارجي للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

22. كواتي مسعود: "**الدكتور موسى لقبال المؤرخ الموسوعي**"، أشغال الملتقى الوطني دراسات تاريخية تخليدا لروحي الاستاذ الدكتور موسى لقبال وطالبته

الاستاذة سامية سليماني 29-30-2009 إشراف الدكتور محمّد بن عميرة، دار هومة، الجزائر، 2010.

23. ملاخ عبد الجليل: "**موسى لقبال وجهوده في تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية وسيطة**"، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد23، العدد 01، السنة 2022.

8.الهوامش

[1]مسعود كواتي، "الدكتور موسى لقبال المؤرخ الموسوعي"، أشغال الملتقى الوطني دراسات تاريخية تخليدا لروحي الاستاذ الدكتور موسى لقبال وطالبته الاستاذة سامية سليماني 29-30-2009 إشراف الدكتور محمّد بن عميرة، دار هومة، الجزائر، 2010، ص52.

[2]عبد الجليل ملاخ، "موسى لقبال وجهوده في تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية وسيطة"، **مجلة الدراسات التاريخية**، مجلد23، العدد 01، السنة 2022، ص278

[3]مسعود كواتي، المرجع السابق، ص53.

[4]أسامة الطيب جعيل، "الاستاذ الدكتور موسى لقبال وجهوده في تدوين تاريخ المغرب الإسلامي"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، المجلد 6، العدد 16، ديسمبر 2018، ص108

[5]عبد الجليل ملاخ، المرجع السابق، ص279.

[6]طيفوري قدور والعيفة الحاج: "التمثلات المنهجية للدّكتور موسى لقبال رحمه الله تعالى في كتابه "المغرب الاسلامي " مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 23، العدد 1، سنة 2022ص261

[7]موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

[8] محمد بن عميرة، "مسيرتي في قسم التاريخ منذ بداية تعريبه1967 إلى هذه السنة 2014 "، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد17، العدد2، ص58

[9] محمد بن عميرة، **دور الزناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 5

[10] محمد بن عميرة، "موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، المجلد1، العدد2، 1986 ص 15

[11] محمد بن عميرة، "حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب"، **اسم المجلة**، المجلد، العدد5 ، 1988، ص 69

12**البتر**: تعني البدو والرحالة في لفظ يوناني بوتروس (botros) ينظر: موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص58، وعند ابن خلدون هم أهل الوبر، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصر من ذوي السلطان الاكبر**، تح خليل شحاة، دار الفكر، بيروت لبنان، ط2، 1988، ج 6، ص 152.

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN: 2588-2090
ISSN: 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 519-546

13البرانس: هم المستقرون ومشتقة كذلك من لفظ يوناني برانوس، ينظر: موسى لقبال، المرجع السابق، ص 58. ابن خلدون وغيره من المؤرخين المسلمين هم أهل المدر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 202

[12] موسى لقبال، المرجع السابق ص 58.

[13] محمد الهادي حارش، **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995، ص120/121أنظر محمد العربي العقون، **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، دار الهدى الجزائر، 2008، ص96.

[14] محمد بن عميرة، **دور زناتة المرجع السابق**، ص ص 60.59.

[15] بن عميرة، نفسه ص 68.

[16] موسى لقبال، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة الجزائر، 2005، ص 185.

[17] ابن عبد الحكم، **فتوح إفريقية والاندلس**، تح عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1964، ص 104.

[18] بن عميرة، دور زناتة، المر جع سابق، ص81.

[19] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 106.

[20] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص133.

[21] بن عميرة، دور زناتة، ص85.

[22] ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1/ص 70، ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص 224.

[23] ابن عبد الحكم، ا المصدر السابق، ص106.

[24] نفسه ص108.

[25] **حملة العلم الخمسة**: " أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري، وعبد الرحمان بن رستم، عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، ابو داوود القبلي. ابو زكرياء يحي بن أبي بكر، **سير الائمة وأخبارهم**، تح اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر، 1979، ص35.

[26] نفسه، ص 38.

[27] بن عميرة، دور زناتة، المرجع السابق، ص 90.

[28] نفسه ص100.

[29] يوسف جودت عبد الكريم، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.43

[30] ابراهيم بكير بحاز، **الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم**، مؤسسة كتابك الجزائر، ط2 ص 294 ملحق خريطة توزيع القبائل البربرية بالمغرب الأوسط.

[31] الشهرستاني، **الملل والنحل**، تح أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة بيروت لبنان، ط3، 1993، ج 1، ص 196.

[32] الشهرستاني، نفسه ص197.

[33] بن عميرة، دور زناتة، المرجع السابق، ص 161.

[34] مدينة بسورية تقع جنوب شرق مدينة حماة، البلاذري، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988 ص ص 123-124.

[35] القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986 ص 37، ابن خلدون المقدمة ص 356.

[36] نفسه ص46.

[37] موسى لقبال، دور كتامة، المرجع السابق، ص .208.

[38] نفسه، ص 252.

[39] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 99.

[40] نفسه 102.

[41] موسى لقبال، دور كتامة، المرجع السابق ص 248.

[42] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1/ ص .80

[43] لقبال: دور كتامة، المرجع السابق، ص 241.

[44] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6/ ص 230.

[45] ابن الاثير، الكامل **في التاريخ**، تح، عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1997، ج6، 126.

[46] بن عميرة: دور زناتة، المرجع السابق ص 168.

[47] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 77.

[48] بن عميرة، دور زناتة، المرجع السابق، ص 168.